أفاق فكرية
الجمعية الخلدونية التونسية بين الرمزية التاريخية والمشروع العلمي التونسي
ص . ص 23 - 38
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

الجمعية الخلدونية التونسية بين الرمزية التاريخية والمشروع العلمي التونسي

- **محمد بوطيبي**
- **جامعة يحي فارس بالمدية bt.med@hotmail.com**

تاريخ الارسال : 2018/01/18 **تاريخ القبول:** 2018/04/04 **تاريخ النشر :** 2018/10/04

الملخص: لقد تأثرت الحركة الفكرية والإصلاحية وحتى البايات والبلاط التونسي بالعلامة عبد الرحمان ابن خلدون، وتخليدا له قامت الإدارة التونسية بتأسيس الجمعية الخلدونية التونسية في نهاية القرن التاسع عشر، بهدف تحديث التونسيين واطلاعهم على المدنية الغربية، والتواصل بين الحضارتين التونسية والفرنسية. فالجمعية كانت بمثابة الجامعة العلمية التونسية، وكانت منتدى التواصل الفكري بين الحضارات، ومركز الإشعاع الفكري والأدبي التونسي والنضال التونسي. فما هي الجمعية وما دورها في الحياة الفكرية والأدبية التونسية خلال النصف الأول من القرن العشرين؟

الكلمات المفتاحية: الخلدونية، الصادقية، ابن خلدون، لويس ماشويل، الإشعاع الفكري، التعليم.

Tunisian Khaldouni Association between the historical symbolism and the Tunisian scientific project

Astract : The Tunisian administration founded the Tunisian company EL Khaldouni in the late nineteenth century, with the aim of modernizing Tunisians and informing them of Western civilization. and to make the link between the Tunisian and French civilization.

The association El Khaldounia was the Tunisian scientific university, the forum of the intellectual communication between the civilizations, the center of the Tunisian intellectual and literary radiation and the Tunisian fight. In the end What is this association and its role in Tunisian intellectual and literary life during the first half of the 20th century?

Key words: Khaldounia, Sadikia, , Ibn Khaldun, Louis Machwill, Intellectual Radiation, , Education.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

مقدمة:

لاشك أن المفكرين التونسيين قد تأثروا بالمفكر ابن خلدون وأفكاره الاجتماعية* كغيرهم من المفكرين وعلماء الاجتماع الآخرين، وتبنوا أفكاره السياسية والاجتماعية، فبعدما كانت مقدمة ابن خلدون مفقودة في البلاد التونسية، فقد تم جلبها إلى المكتبة التونسية في عهد علي باشا الأول (1756- 1756) من مدينة فاس المغربية.

و إحياء للمفكر فإن التونسيين نسبوا الجمعية الخلدونية للعلامة ابن خلدون. فعلى حسب ما ذكره فليب بروجر في أحد محاضراته[2] . أن لويس ماشويل هو صاحب الفضل في تأسيس الجمعية الخلدونية، وهو الذي أشار باختيار اسم تاريخي لها، فكان الاتفاق على العلامة ابن خلدون[3]، دلالة على تأثير هذا الرجل في الفكر العام التونسي. فما هي الجمعية الخلدونية، وما هو دورها في الإشعاع الفكري التونسي، وهل استطاعت أن تنير الفكر الاجتماعي مثلما أنار به ابن خلدون علم الاجتماع والتاريخ. وهل استطاعت الجمعية تحقيق الأهداف التي أنشئت لأجلها؟ والذي سيكون محل دراستنا هذه، التي سنحاول الإسهام بها في هذا الموضوع، إلى جانب الدراسة التي قام بها منجي السيادي حول الخلدونية.

1- جذور الفكر الخلدوني في وسط البلاط والحركة الإصلاحية التونسية:

لقد كان لابن خلدون شهرة واسعة في الأوساط الفكرية والبلاط الحاكم في تونس خلال القرن التاسع عشر. ومن هؤلاء أحمد بن أبي الضياف وأحمد باي، اللذان كانا على اطلاع واسع على مؤلفاته، ومنها المقدمة المعروفة، التي كانا يستشهدا بها في بعض مواقفهما، حيث يشير الأول إلى ولع الباي أحمد بالعلوم والمعرفة والفكر الخلدوني قائلا:" كان محبا للعلم، معظما للعلماء، عارفا بمنازلهم، ذا ولوع بفن التاريخ. قرأت بين يديه كتاب والسياسة لابن قتيبة مرارا متعددة، وكتاب [المنتظم في أخبار الرشيد والأمين والمأمون والمعاصم]، وغيرهما من كتب التاريخ الإسلامي، وإذا ذكرت له مقدمة ابن خلدون، يقول لي: "نعرفها"، ويستشهد منها بما يوافق غرضه.[4]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

وحتى الباي حمودة باشا (1752- 1814) هو الآخر كان متأثرا بابن خلدون، ومولعا بمقدمته، حيث يذكر أحمد بن أبي الضياف بأن الباي المذكور:" كان ولوعا بالنظر في مقدمة كتاب ابن خلدون رأيت توقيفات كثيرة بخط يده".[5] وطبق ذلك في حياته الاجتماعية والسياسية، من خلال اجتناب الظلم وتحقيق العدالة الاجتماعية بين سكان الإيالة التونسية[6]. بالرغم من أن الدين الإسلامي يوصي بالعدالة بين الرعية من طرف حكام المسلمين.

لقد تأثر الكثير من أعلام الإصلاح التونسيين بالفكر الخلدوني، مثل خير الدين باشا والجنرال حسين وابن أبي الضياف. فالمنهج المتبع في مؤلفاتهم هو نفس المنهج الخلدوني في كتابته، بالاعتماد على المقدمة ثم الدخول في الموضوع العام الذي يبرز فيه المتن، كما هو الحال في كتاب الإتحاف❖ وأقوم المسالك❖.[6] فخير الدين التونسي اقتدى بابن خلدون، وحاول التوفيق بين العقل والدين، وتكييف الدين الإسلامي مع العقل، والتمييز بين السياسة العقلية البشرية والسياسة الدينية الشرعية، واستخلص أهمية العدالة الاجتماعية في تقدم الشعوب طبقا لمقولته العدل أساس العمران.[7]

نظرا لمكانة ابن خلدون عند النخبة المثقفة التونسية، فقد كانوا يدرسون مقدمته في جامع الزيتونة❖، إذْ يذكر محمد الفاضل بن عاشور أن والده الطاهر بن عاشور :" كان يدرس مقدمه ابن خلدون وديوان الحماسة لطلبة الجامع الأعظم".[8] وتأثر بالمنهج العلمي الخلدوني. فالمتأمل لكتاباته يلاحظ نفس المسلك الذي اتبعه ابن خلدون، الذي كتب عن علم العمران والميل إلى الاستقراء العلمي، واستعمال البحث عن القوانين والبعد الاجتماعي في فكره.[9] وقد بَيّن ابن عاشور دور العلماء في القديم في تحسين أساليب التعليم، ومن هؤلاء القاضي أبو بكر بن العربي الأندلسي في كتابيه" الرحلة" و"العواصم ". وكذلك ابن خلدون الذي ذكر شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم السليماني، الذي وصفه بشيخ العلوم العقلية.[10]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

استدل ابن عاشور بالمنهج العلمي والتدرج في مختلف العلوم، وضرورة تعددها بابن خلدون في ذكره أهم العلوم والكتب التي قرأها، والمشايخ الذين تقلى عنهم مختلف العلوم. حينما عرَّف أهم العلوم التي كانت تدرس في جامع الزيتونة في أواسط القرن الثامن.[11] كما بين الطاهر بن عاشور المستويات التعليمية الثالثة : الابتدائية، المتوسطية والعالية المتبعة في جامع الزيتونة، وهي المراحل التي ذكرها ابن خلدون، التي كانت سائدة أيام الدولة الحفصية، والتي مازال جامع الزيتونة محافظا عليها في بداية القرن العشرين.[12]

فمن خلال كتابه الموسوم بعنوان" أصول النظام الاجتماعي"، نجد أن الطاهر بن عاشور❖ فسّرَ بعض الظواهر الاجتماعية بالاعتماد على دور العصبية في المجتمعات قوله:" الأمم المتخلفة في الأنساب والمواطن واللغات والعادات على ممر العصور معتضدا بعصبية أو موطن أو لغة إذا قدرنا اعتضاده بشيء من ذلك كان قد اعتضد ببعض أمته دون بعض فأسرع في أتباعه الانسلال وفي عهده النقض".[13]

كما نجد صاحب كتاب البرنس في باريس❖ يستشهد بكلام العلامة ابن خلدون في تفسير الظواهر السياسية، معتمدا على العصبية والعمران البشري، والتاريخ الاجتماعي، كما هو الحال في شأن الأندلسيين على النحو التالي:" إذا كانت أمة تجاور أخرى يسري إليها من التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس، لهذا العهد من الجلالقة، فأنك تجدهم يتشابهون في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى في رسم التماثيل على الجدران والمصانع والبيوت".[14] كما اعتمد في العديد المرات على ابن خلدون في تفسير المسائل الاجتماعية والأنثربولوجية، ومنها مسألة تفرق اللغات واللهجات في الدول المغاربية، مستعينا بقوله:" هجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع أمصارهم ومدنهم، وصارت الألسنة العجمية دخيلة وغريبة. ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أواخره".[15] وراح يستشهد ببعض الأحداث والأشعار التي جاءت في مقدمة ابن خلدون، ومنها دخول ابن أبي محمد بن الشيخ حفص حين دخل على العادل بن المنصور المومني الموحدي الذي استحسن شعر الأول و ولاه حكم إفريقيا.

وحتى المصلح الشيخ سالم بو حاجب❖ كان مطلعا على الكتابة والمنهج الخلدوني، حينما راح يستعمل مصطلح العمران في كتابه المعروف بالخطب، كغيره من المفكرين والمصلحين التونسيين الذين تأثروا بالمنظومة الخلدونية مثل: خير الدين التونسي❖❖، ابن أبي الضياف، محمد بيرم الخامس ومحمد السنوسي.[16]

لقد اهتم بعض التونسيين بفكر ابن خلدون ودافعوا عنه، حيث كتب أحدهم مقالا ينتقد فيه الكاتب طه حسين في بعض الحقائق العلمية المتعلقة بابن خلدون. ومنها عدم إفاضة وتقصير الأديب طه حسين في ذكر الكتب التي اطلع عليها ابن خلدون في تونس خلال الفترة الأولى التي قضاها في البلاد التونسية.[17]

ومن الذين تأثروا بابن خلدون وكتبوا عنه في مطلع القرن العشرين أيضا العلامة محمد الخضر حسين من خلال التعريف بشخصيته ومناقبه وأخلاقه ومنهجه العلمي، لذلك ألف كتابه المعروف: "بحياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية"، وبَيّن مكانته الفكرية والعلمية العالمية وفي المدارس الكبرى بقوله:" أثبتت المعاهد العلمية الإسلامية من فحول العلماء رجالا لا تحيط بهم أقلام الخاسئين، ولكن الرجال الذين ينتمون إلى العلم الذروة القصوى، وتنفجر قرائحهم بمدارك فائقة، فيخرجها للناس في أسلوب الحكيم ليسوا بكثير، ومن هذه الطائفة العزيزة المثال أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، كان بعيد الشأن في العلوم الشرعية والعربية، خبير بالعلوم النظرية، ضليعا بالفنون الأدبية، ويشهد له بالرسوخ في العلم الكتب الذي درسها..."[18]

لقد أعجب محمد الخضر حسين بمهارة ابن خلدون في العلوم النقلية والعقلية ومقدمته التاريخية التي أمتع فيها على حسب قوله البحث عن حقائق تلك العلوم وفلسفتها.[19] ومحمد الجعايبي هو الآخر راح يستدل بأفكار ابن خلدون، المتعلقة باقتداء الغالب بالمغلوب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله عوائده، الذي ورد في أحد فصول مقدمته، حينما كتب مقالا في جريدة "الصواب " ❖ عن رقي الشعوب، وبَيَّن من خلاله أثر العامل الاستعماري الذي كشف وإبراز أمراض الدول المستعمرة.[20] وتخليدا واعترافا لابن

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

خلدون، تم تأسيس الجمعية الخلدونية، المستوحاة من اسمه، وتجسيدا لأفكاره الاجتماعية، باعتبار أنه لم يكن له أتباع في زمانه قادرين على تجسيد خلدونيته. [21]

2- الجمعية الخلدونية بين الرمزية والمهمة:

تأسست هذه الجمعية الخلدونية في العاصمة التونسية بإيعاز من طرف الفرنسي اليوتنو كولونيل روبيي، في عهد المقيم العام روني مييه ❖[22] René Millet، ملحق عام بالإقامة العامة،[23] بموجب القرار الإداري الصادر في 21 ديسمبر 1896م [24]، بغرض إلحاق التونسيين بالمدارس الفرنسية عام 1896م، والتطوير العلمي للتونسيين، وبهدف إصدار نشرة إعلامية، بغية التواصل والتعرف على الحضارتين الإسلامية الفرنسية بين الفرنسيين والتونسيين، كما جاء في الفصل الرابع التأسيسي للجمعية: [25]وقد ذكر عبد الجليل الزاوش الذي اشتغل منصب مدير الخلدونية وهو المعرووف ببرجوازيته وتعطشه للثقافة والمدنية الغربية بأن منهج الجمعية بعيد عن الجامعة الإسلامية وعن أي تعصب مهما كان، وان الجامعة تمارس نشاطها في العلانية[26].كما أن الهدف من تأسيس الجمعية الخلدونية هو:

1. تدريس وتطوير العلوم العصرية للطلبة التونسيين، إعداد المحاضرات في تخصصات التاريخ، الجغرافيا، اللغة الفرنسية،الاقتصاد السياسي، الصحة، الفيزياء، الكيمياء وغيرها...
2. تسهيل للطلبة التونسيين إكمال مستواهم الدراسي.
3. تشجيع تأسيس المكتبات العلمية.
4. إنشاء مجلة لنشر المعارف باللغتين العربية والفرنسية، وإحداث تقارب بين المعربين والمفرنسين.[27] والتواصل بين الحضاري بين الشرق والغرب.[28] وبذلك نشر الأفكار العصرية في أوساط الشباب التونسي.[29]

ص . ص 23 - 38
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

3- التنظيم الإداري والعلمي للجمعية الخلدونية :

هذه المؤسسة تسهر على إدارتها مكونة جهاز إداري كان يتمثل في نهاية العشرينات من : مدير، نائبين للمدير، كاتبين اثنين، محاسب مالي، مكتبي، وستة أعضاء آخرين مستقلة عن التعليم العمومي وهذه اللجنة تجدد دوريا في كل عام بانتخاب من المجلس العام لمؤسسة الزيتونة.[30] وكانت الجمعية الخلدونية تقدم دروس ومحاضرات في علم القياس، علوم الهندسة، العلوم الفيزيائية والطبيعية، اللغة الفرنسية، التاريخ والحقوق التونسية.[31]

ولما كانت للجمعية مهام ثقافية وفكرية منوطة بها، فكانت بحاجة إلى الأموال اللازمة لتسيير شؤونها، والتي كانت مصدرها الهبات والإعانات الخيرية ومساعدات السلطات، كما جاء في المادة العاشرة من تسييرها. وفعلا فالمصادر للمالية للجمعية كانت تجمع من تبرعات باي تونس، والحكومة التونسية، ومساعدات الأوقاف الإسلامية، ومنح التدريس من الطلاب، وهبات العامة من التونسيين، وغيرها. والإحصائيات التي بين أيدنا تبين مقدار التبرعات التي قدمتها الحكومة للجمعية الخيرية: فخلال الفترة الواقعة ما بين 1938 /1942 تلقت الجمعية إعانة حكومية قدرها 77500 فرنك سنويا، وفي 1944 /1945 تلقت الجمعية إعانة سنوية قدرت ب105000 فرنك، وفي عام 1947 مليون فرنك، لتصل عام 1948 إلى 1300000فرنك فرنسي.[32]

لقد ساهمت الجمعية الخلدونية في بناء وتطور الفكر والثقافة التونسية، وفي التواصل الفكري بين الداخل والخارج، [33] فبمناسبة توزيع الشهادات على الطلبة المتخرجين من الخلدونية سنة 1906م قررت إدارة الجمعية توزيع إعانات مالية على الطلبة التونسيين، لمواصلة دراساتهم العليا بفرنسا.[34]

كانت الجمعية الخلدونية تمتلك رصيدا هاما من الكتب الفكرية والعلمية والأدبية المختلفة، قُدّر عددها عام 1908 ب 720 مؤلفا، مجزأة إلى 1200 مجلدا من الكتب الثمينة، كما بينه كمي فيدال في جريدة التونسي عام 1911 .[35] كما أشار عبد الجليل الزاوش

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

مدير الخلدونية في مقاله المعنون "حول الخلدونية " الذي نشر في جريدة البريد التونسي بتاريخ 12 ماي 1910 بأن المكتبة في تلك السنة كانت تحتوي على 1300مجلدا[36].وقد ارتفع عدد هذه المؤلفات، حتى أصبح 3338 مرجعا باللغة العربية، و810 مرجعا باللغة الفرنسية عام 1949 م، بين رفوف مكتبتها العلمية التي تم تأسست عام 1901 م❖. وقد ساهم هذا الرصيد في إثراء الفكر العام التونسي والتحصيل العلمي بالخلدونية، مع العلم أن أبواب المكتبة كانت مفتوحة لجميع الراغبين في المعرفة، وليس طلاب الجمعية الخلدونية فقط[37]. وبذلك نستخلص البعد التثقيفي والتكويني للمجتمع التونسي. الذي تجلى في الحصص التعليمية التي كانت تُحْييها الجمعية عام 1910 في كل مساء على يد نخبة من المثقفين التونسيين، منها دروس الحقوق باللغة الفرنسية للأستاذ أحمد الغطاس، والترجمة من الفرنسية للعربية لعلي بوشوشة، وعلي بن أحمد، ودروس اللغة الفرنسية التي كان يقدمها الأساتذة مصطفى دنقزلي، وخير الله بن مصطفى.[38]

لقد استطاعت الخلدونية أن تخرج جيل متعلم ومثقف رغم المعارضة من طرف بعض الجهات المحافظة ومنهم جماعة الزيتونة، فقد تخرج منها عام 1908م 176 طالب بشهادة مؤهلة للتوظيف في المصالح الحكومية.خاصة وأن الخلدونية وباقتراح من ماشويل قد حصلت بموجب مرسوم 12 نوفمبر 1898 يعطي الأولية لشهادة الخلدونية دون غيرها أولية توظيف خريجيها في المناصب الإدارية التونسية.[39] كما استطاعت الجمعية أن تحصل على اعترافات دولية لشهاداتها التعليمية، ومنها اعتراف وزير التعليم العمومي المصري بتاريخ جانفي 1948 بشهادة تخرج المدرسة الخلدونية كغيرهم من طلاب الزيتونة لمواصلة تعليمهم في تخص الأدب العربي في كلية الآداب بجامعتي الملك فؤاد الأول وفاروق الأول ودار العلم المصرية.[40]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

4- دور الجمعية الخلدونية في الحياة الفكرية والأدبية التونسية:

لم تقتصر مهام الخلدونية على الجانب العلمي فقط، بل ساهمت في تنوير عقول الشباب بالمسامرات والمحاضرات ذات المواضيع المتنوعة،[41] بفضل الكثير من العلماء والمفكرين التونسيين خصوصا أفذاذ المدرسة الصادقية وغيرها أمثال: البشير الصفر، محمد الأصرم، محمد بن الخوجة، عبد الرزاق الغطاس، الحكيم دنقزلي، وحمودة تاج وغيرهم من رجال الفكر التونسي.[42]

ومن الأوائل الذين قاموا بتنوير الخلدونية الشيخ سالم بوحاجب، بتقديم محاضرة حول العمل والتمدن عام 1897م، الذي ساير من خلالها الأحداث والحداثة منتقدا التيار التقليدي، مقاوما الفكرة التي مفادها أن العلوم الدنيوية هي السبب في تأخر الدين، داعيا إلى الأخذ من الحضارة الغربية بما ينفع الأمة، باعتبار أن الشريعة لا تتنافى مع التقدم العلمي. [43]وكان معارضا للحياة الدينية الاجتماعية القائمة على الرتابة والتقليد، التي تشوبها العادات والتقاليد والبدع والمنكرات مثل زيارة والقبور والقباب، فكانت دعوته ضد البدع والخلافات التي أصابت الدين والمجتمع الإسلامي.[44] وبذلك فإن هذه المحاضرة كان الهدف منها نشر العلم والمعرفة في أوساط التونسيين، إضافة إلى أنها دعوة صريحة للتحديث والتطور في المجتمع، وضرورة مسايرة المجتمع الإسلامي بما في ذلك الأمة التونسية.

لقد عرفت الخلدونية في وقت سابق محاضرات عديدة، منها محاضرة للشيخ محمد عبده أثناء زيارته لتونس عام 1903 م، ومحاضرة محمد الخضر حسين الدعوة إلى الإصلاح. ومحاضرة محمد القروي في 20 أكتوبر 1905 بعنوان "المرء بأصغريه لسانه وقلبه" ومداخلة "حول وظائف القلب".[45]

وساهمت المدرسة الصادقية ❖في إحياء الفكر والتاريخ التونسيين، بفعل المحاضرات التي ألقاها عبد الجليل الزواج، مساء 12 فيفري 1919 م، والمتعلقة بتونس قبل الحماية1881 م، حيث أشار فيها إلى طبقة الفلاحين في المجتمع التونسي وحال قطاعهم

ص . ص 23 - 38
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

الزراعي، دون الإشارة إلى الجانب السياسي، وذلك بحضور إدارة وشباب التونسيين. [46] و العشرات من الأوربيين. كما عرفت المدرسة بعد فترة زمنية قليلة محاضرة ألقاها ن. نوال فيرى(N. Noël fera) حول موضوع التنصير.[47] ومحاضرة بعنوان "الفونغراف" للسيد عبد الرزاق الغطاس بتاريخ 27 أفريل1927 م، بحضور المقيم العام الفرنسي "روا" وجمهور من التونسيين والفرنسيين[48]، وأبو القاسم الشابي سنة 1929 م. وقد جلبت هذه المحاضرات لأصحابها مشاكلا وعداوة من طرف شيوخ الزيتونة التقليدين، لدرجة حرمان الشيخ محمد الخضر حسين من ترقيته العلمية في جامع الزيتونة، وهو الذي أصبح فيما بعد شيخ جامع الأزهر في مصر. حيث تم إحصاء سبع وعشرين محاضرة مابين شهري أفريل 1906 - 1907 م، وحوالي خمسة وسبعون محاضرة أخرى خلال عام 1930 م،[49] شهدت الجمعية خلالها مسامرة بتاريخ 7 جوان 1929م، يدور موضوعها حول تاريخ الموسيقى العربية، تحت إشراف الأستاذ اسكندر شلقون❖رئيس المعهد الموسيقى بمصر وصاحب جريدة روضة البلابل الموسيقية بنفس المعهد أمام طلبة الجمعية الخلدونية والصحافيين والأدباء التونسيين، وفيها تم التطرق إلى تاريخ الموسيقى العربية وتأثير اللغة والشعر العربيين على الموسيقى العربية.[50] بالإضافة إلى استضافة الجمعية الخلدونية عام 1931 م مؤتمر طلبة شمال إفريقيا.[51]

استمرت المحاضرات خلال الثلاثينات، منها التي ألقاها محمد العربي الكبادي حول" آداب الشاعر"، وأحمد بن ميلاد حول" الضعف الجنسي" بقاعة الخلدونية بتاريخ 11 أفريل 1935.[52] وكذلك أربعين محاضرة فكرية خلال سنة ونصف سنة، ما بين 28 نوفمبر 1946 م إلى غاية أفريل 1948 م.❖ [53]حيث مست الجوانب السياسية والاجتماعية والتاريخية والشخصيات الفكرية والعلمية التونسية، وقضايا العالم الإسلامي، تحت إشراف نخبة من المفكرين والأعلام التونسيين، أمثال محمد الفاضل بن عاشور، محمد الصادق بسيس، الهادي نويرة، محمد المختار الوزير، علي بن رضوان، الطاهر القصار، محمد الغربي، محمد زيد، فتحي زهير، الحبيب خوجه، صالح ومحمد المهيدي. تلك المحاضرات ساهم

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

فيها محمد الفاضل بن عاشور بثلاثين محاضرة من مجموع المحاضرات التي احتضنتها الجمعية الخلدونية.[54] والجدول التالي يبن أهم المحاضرات التي ألقيت في الجمعية الخلدونية مابين سنتي 1946-1948 :

التاريخ	عنوان المحاضرة	المحاضر
28. 11. 1846	مشكلة العربية في الهند	الفاضل بن عاشور
11.12.1946	الاخوان المسلمين في الصين	//
18. 12. 1946	حياة الشيخ أرسلان	//
21. 12. 1946	مسلمو الهند	//
4. 1. 1947	حياة الشيخ أرسلان	محمد الصادق بسيس
10. 1. 1947	نظرة حول المستعمرات الفرنسية	الهادي نويرة
15. 1. 1947	حياة أرسلان	أحمد المختار الوزير وآخرون
15.1. 1947	تطور المسألة الاستعمارية في الهند	محمد الفاضل بن عاشور
19. 1. 1947	السياسة الاستعمارية خلال فترة تأسيس الدستور الفرنسي	الهادي نويرة[55]
11. 12. 1948	دور الصحف العربية في لعالم	صالح المهيدي
25. 12. 1948	حياة عبد العزيز جاويش	محمد المهيدي [56]

لم تنعزل وتقوقع على نفسها بل كانت منفتحة على القضايا والانشغالات التي حولها، وأولت اهتماماتها بالقضايا الاجتماعية والسياسية التونسية من خلال المحاضرات السابقة، ومن خلال تسجيل أفكارها في المؤتمرات المختلفة، حيث شارك ممثلها البشير الصفر في المؤتمر الجغرافي الذي احتضنته المملكة التونسية في مستهل القرن العشرين 1901، وتمخضت مداخلته حول دور الخلدونية في تثقيف والتمدين، مشيرا للدور الفرنسي باعتبار أن فرنسا قوة إسلامية لا يقتصر مهامها على حماية المسلمين فقط بل يستوجب عليها تحقيق الحرية والحضارة التونسية.

ص . ص 23 - 38
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

كما حضرت الخلدونية في مؤتمر بوردو الفرنسية عام 1907، حيث تحصلت على ميداليتين اثنتين بفعل العمال التي قدمها الطلبة الذين مثلوا الجمعية في المؤتمر.كما مثل الجمعية الخلدونية في عام 1908 الأستاذ الأصرم في مؤتمر شمال إفريقيا الذي تم عقده بالعاصمة الفرنسية باريس، والذي تمحور اهتمامه حول الإصلاحات الواجب القيام بها في التعليم العالي العربي في تونس.(57)

لقد أشاد الفرنسيون أنفسهم بدور الخلدونية في الحياة الفكرية العامة في تونس، حيث أرسل المقيم العام الفرنسي شارل ماست❖ في تونس مؤتمر طلبة شمال إفريقيا رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 13 نوفمبر 1945 م، أهم ما جاء فيها :" إنها ليست المرة الوحيدة التي ألاحظ فيها كم يوجد في أوساط المثقفين التونسيين الذين يهتمون بتطوير تعليم الإناث التونسيات". وفي هذا الإطار أشار تقرير المقيم العام الفرنسي في تونس إلى المحاضرة التي ألقيت في قاعة الخلدونية من طرف الشيخ المختار بن محمد أحد شيوخ الزيتونة، التي ارتبط موضوعها بمشكلة تعليم المرأة التونسية. وأن التعليم الوطني للمرأة التونسية يجعلها تقوم بدورها الاجتماعي والمدني والسياسية في المجتمع الحديث.(58)

لقد ساهمت الجمعية الخلدونية في الحياة الفكرية والعلمية والقضايا الوطنية والاجتماعية والدينية، وزرع أفكار الحداثة والتجديد، مما جعل المنجي العيادي يعتبر الخلدونية بأنها المنطاد الذي حلق الفكر التونسي في سماء التحديث والتجديد عاليا.(59) وبذلك كانت الجمعية الخلدونية مركزا للإشعاع الفكري والثقافي، تنيره نخبة من المفكرين التونسيين والفرنسيين وشخصيات أجنبية، يتم استضافتها من حين لآخر، تلقى فيها المسامرات المختلفة على مسامع الحضور التونسيين والفرنسيين معا، وحتى السلطات الرسمية في البلاد أحيانا.

الخلاصة:

- ابن خلدون مرجع هام لرجال الحركة الإصلاحية التونسية، الذين تأثروا بمنهجه، وفي سلوكه السياسي وفي طريقته وكتابة التاريخ شكلا ومضمونا. كما تأثر بآرائه و نظرياته

ص . ص 23 - 38
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
bt.med@hotmail.com

ومناهجه التي وردت في مقدمة كتاب العبر و تبنّوا العديد منها واستشهدوا بالكثير من أقواله. فقد استخلص أحمد بن أبي الضياف من دراساته التاريخية التي وردت في كتابه، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان.

- لقد تأثر الكثير من المفكرين التونسيين بالفكر والمنهج الخلدوني، تجسد ذلك في تدريس أفكاره وأعماله في المؤسسات العلمية التونسية ومنها جامع الزيتونة.كما تأثر الكثير في منهجه العلمي، والتي اتضحت معالمها في مؤلفاتهم الفكرية والأدبية.

- تخليدا للعلامة ابن خلدون قامت السلطة التونسية بتأسيس الجمعية الخلدونية،عرفانا بمجهوده الفكري والعلمي، بغية التواصل والحوار بين المشرق والمغرب، وتطلع الشباب التونسي على الحداثة الغربية.

- لقد كانت مؤسسة الخلدونية الجمعية والمدرسة العلمية في نفس الوقت، فقد ضاهت في معارفها وعلومها الجامع الأعظم.مما جعل الإدارة الفرنسية تمنح طلابها الأولوية في تولي المناصب الإدارية في عهد الحماية الفرنسية.

- لعبت الخلدونية دورا كبيرا في إشعاع الحياة الفكرية والأدبية التونسية، إلى جانب جمعية قدماء الصادقية خلال النصف الأول من القرن العشرين، وتبين نشاطها من خلال الندوات والمسامرات التي نشطتها نخبة من رجال العلم والفكر التونسي خلال الفترة المذكورة، كما سجلت الجمعية حضورها في المنتديات والمؤتمرات لرفع انشغالات النخبة التونسية ومشاكل الأمة التونسية.

- إن الجمعية الخلدونية ورغم معارضة البعض لها، بأنها كانت منفتحة على المدنية الغربية، فقد أنارت الحياة الفكرية والأدبية التونسية، بفعل نخبة من العلماء والمفكرين التونسيين، والتي نحن بحاجة إلى مثلها اليوم ليس في تونس فقط بل في الأمة العربية جمعاء.

الاحالات و الهوامش:

1-مصطفى التواتي، ، تونس الناهضة من التجديد إلى التحديث في القرن 18 و19م ط1. تونس :مطبعة شركة المنار للطباعة، 2002، ص 35.

نقلا عن:

Ahmed. Abd Esselem. Historiens tunisiens. P.U.Tunis :1973, p.61.

[2]Berger .(Ph), « La Tunisie ancienne et moderne souvenirs de voyage», annelles de musée Guimet, t 21, paris :Imp française et orientale E. Bertrand,1906, p185.

2- أرنولد ه قرين، العلماء التونسيون 1873- 1915. ترجمة حفناوي عمايرية وأسماء معلي، دط، تونس :بيت الحكمة، 1995، ص 224.

3- أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، المجلد 2، ج4، د ط، بن عروس، تونس :المطبعة الأساسية المنطقة الصناعية، 1999، ص 179.

4- التواتي، مرجع سابق، ص 53.

5- علي المحجوبي، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان. ط1، تونس :سراس، 1999.، ص 74.

6- التواتي، مرجع سابق، ص 36، 37.

7- المحجوبي، مرجع سابق، ص 74.

***جامع الزيتونة :أسسه على الأرجح حسان بن النعمان فاتح تونس في حدود 9ه/ (698- 699)م، عرف صدور قانون التعليم 1251 بنقل الخزائن والكتب، أدخلت عليه إصلاحات جديدة في عهد خير الدين التونسي(1225- 1308)، متعدد البرامج يدرس فيه الطالب سبع سنوات كاملة. حول الموضوع أنظر :الطويلي، دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس. ، تونس :مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، 1992، ص 148.**

8- محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرنين(13- 14ه/ 19- 20 م). ط1، تونس :مطبعة الرشيد للطباعة والنشر، 2005، ص 97.

9- حسن فتحي ملكاوي، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر- رؤية معرفية ومنهجية، ط 1، الأردن، دار العالم للفكر الإسلامي، 2011، ص 506.

10- الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، ط 1، القاهرة :دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2006، ص 10.

11- نفسه، ص ص 72- 74.

12-نفسه، ص 75.

* **محمد الطاهر بن عاشور 1296ه - 1379 ه /1879- 1973م عالم وفقيه تونسي، من أسرة ذات أصول أندلسية استقرت إبان محاكم التفتيش، ولد بالمرسى ضاحية جميلة بتونس الشمالية، حفظ القرآن الكريم، وتعلم الفرنسية، التحق بجامع الزيتونة عام 1892م في سن الرابعة عشر من عمره، وفي 1896، ثم قبوله مدرسا في الجامع الأعظم، وأصبح من صنف الطبقة الأولى لمدرسي جامع الزيتونة، ثم حاكما في المجلس المختلط سنة 1909م، ثم قاضيا على المذهب المالكي 1911، ورقي مفتيا، ثم شيخ الإسلام عام 1932م، وبعدها شيخ جامعة الزيتونة. من أثاره :التحرير والتنوير، تفسير القرآن، أصول الإنشاء والخطابة، موجز البلاغة، أليس الصبح بقريب، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الوقف وأثاره في الإسلام، نقد كتاب الإسلام ونظام الحكم، شرح قصيدة الأعشى، ديوان بشار، الواضح في مشكلات شعر المتنبي، شرح مقدمة المرزوقي لشرح ديوان الحماسة. انظر :مصدق الجليدي، رواد الإصلاح في تونس– ابن خلدون –الطاهر بن عاشور– الطاهر الحداد –الخضر حسين. د ط، المطبعة المغاربية لطباعة وإشهار الكتاب، تونس: 2006، ص 70،71.**

13- الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، 1985 تونس :مطبعة مصنع الكتاب للشركة التونسية للنشر، 1985، ص 107.

* محمد المقداد بن نصر بن عمار الورتتاني(1292ه- 1369ه / 1875 م- 1950 م) من مواليد قبيلة ورتتان بالكاف، حفظ القرآن وانتقل إلى الجامع الأعظم سنة 1892م، تعلم على أهم الشيوخ سالم بوحاجب المكي بن عزوز ومحمد النخلي وغيرهم. وبعد حصوله على شهادة التطويع 1898، انتقل إلى المدرسة الخلدونية وتعلم على يد البشير صفر، عين نائبا للأوقاف بالقيروان، ثم رئيس إدارة جمعية الأوقاف في عهد الوزير الاكبر مصطفى دنقزلي عام 1915 وبعد التقاعد 1939 واصل دراسته، وأصبح أستاذا مساعدا في جامع الزيتونة، له كتاب البرنس في باريز. انظر :محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين. جُ 5، المرجع السابق، ص 123، 124. لمحمد المقداد الورتتاني، البرنس في باريس رحلة إلى فرنسا وسويسرا 1913. تقديم سعيد الفاضلي، ط1، مطبعة رشاد برس، بيروت: 2004.

14- الورتتاني مرجع سابق، ص 212.

15- نفسه، ص 195.

16- م.أ.ت. ح.و، الشيخ المصلح سالم بوحاجب وإشكالية العصر.فعاليات اليوم الدراسي المنتظم ببيت الحكمة يوم 27 جانفي 2006. ط 1، تونس :مطبعة سوجيم، 2007، ص 76، 77.

17- زيتوني، « نقد فلسفة ابن خلدون الاجتماعية للدكتور طه حسين»، مج المنير، السلسة 3، المجلد1، جُ 2، 29- 01- 1926 م / 15 رجب 1344، ص ص 20- 22.

18- محمد الخضر حسين، حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية. ضبط علي الرضا الحسيني، ط 2، سوريا :الدار الحسينية للكتاب، 1994، ص 52.

19- نفسه، ص 52،53.

20- الجعايبي، «نظرة في أسباب ترقية الشعوب»، ج الصواب، ع:115، 14 جمادي الأول 1324ه /07- 07- 1906 م، ص 1.

21- خالد، مرجع سابق، ص 14.

22- ولد بباريس 1849، له إجازة في الحقوق، يحس اللغتين الانجليزية والألمانية، عرفت فترة حكمه (1894/1900) العديد من الانجازات الهامة، منها سكة الحديد بين المتلوي صفاقس وقفصة، وتأسيس المدرسة الصادقية وتوسيع خط الترامواي وكهربته. توفي 5 - 11- 1919. أنظر :نور الدين الدقي، تنظيم الحكم في فترة الحماية الفرنسية 1881- 1956. ط1، تونس :المطبعة الرسمية التونسية، 1998، ص 99.

23- عبد الجليل الزواش، « الخلدونية»، ج التونسي، ع:30، 0413 ربيع الأول 1328ه / 04- 1910، ص 1، 2.

24-I.S.H.M.N.T, A.Q.O, B:23,Dos:One, s/Dos:389, F:26,29. note sur le mouvement nationaliste tunisien, **23**-07- 1937.

25-I.S.H.M.N.T , A.Q.O, Op.cit ,B :616,Dos :332,F :119,120.

26- C.D.N. B-1-33 Doc :2.

27- M.R.E. S :Tunisie 1944-1948 ; s :1 ; dos :232 ; f :121 ; La khaldounia.

28- I.S.H.M.N.T , A.Q.O, Op.cit., B :23,Dos :1, s/dos :389, F :26,,29

29- ه قرين، مرجع سابق، ص 224.

30-M.R.E. opcit ; La khaldounia ; S :1 ; dos :232 ; f :121.

31- IBID; D;1/230; L'institut d'études supérieurs de Tunisie ; f 94 ;95.

32- M.R.E. opcit ; La khaldounia. S :1 ; dos :232 ; f :121 ;122;

33-د.ت، « نحن والإصلاح»، ج الصواب، ع:188، 27 ذي الحجة 1325ه /31- 01- 1908م، ص 1.

34- د.ت، «الجمعية الخلدونية»، ج الصواب، ع:925، 05- 02- 1907م، ص4.

35- كمي فيدال، «الحركة الفكرية الإسلامية في تونس»، ج التونسي، ع:925، 16 محرم 1329ه/ 16- 01- 1911م، ص2.

[3]6- Zaouche.A ; « sur la khaldounia » ; in j le Courier de Tunisie ; 21.05. 1910 ; sp. Ou C.D.N. B-1-33 Doc :2.

37- I.S.H.M.N.T , A.Q.O, op.cit, B :616, Dos :332, F:123.

38- د.ت،« دروس في الجمعية الخلدونية»، ج الحاضرة، ع:587، 28 شوال 1327 ه، ص3.

39-I.S.H.M.N.T, A.Q.O, op.cit, B :616, Dos :332, F:123.

40- Ibid ,B :616,Dos :332,F :127.

41-.Ibid ,B :616,Dos :332,F :129,130.

42- الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، مرجع سابق، ص 98.

43- محمد اليعلاوي، ما اقتبسه التونسيون وترجموه من الآداب الغربية. ط 1، تونس :مطبعة الوفاء، 2000، ص ص 141- 143.

44- م.أ.ت. ح.و، الشيخ المصلح سالم بو حاجب وإشكالية العصر.فعاليات اليوم الدراسي المنتظم ببيت الحكمة يوم 27 جانفي 2006. ط 1، تونس :مطبعة سوجيم، 2007، ص 104.

45- د.ت، «المدرسة الخلدونية»، ج الصواب، ع:55، 23 ربيع الثاني 1324ه/08-04-1905م، ص3.

* تأسست الصادقية :علي يد الوزير خير الدين باشا عام 1875. انظر :محمد ضيف الله، الحركة الطالبية التونسية 1927- 1939، (تقديم عبد الجليل التميمي)، منشورات عبد الجليل التميمي، تونس: 1999، ص 32، 33.

46-A.N.T, NOTE, 22-02-1914. S :E, C :550 , DOS :30/15,SD :3.

47-A.N.T, NOTE, 22-02-1914. S :E, C :550 , DOS :30/15 ,SD :5.

48- د.ت، « الجمعية الخلدونية»،مقال سابق، ص2.

49- اليعلاوي، مرجع سابق، ص143.

50 - د. ت،«نحن والإصلاح»، ج الصواب. ع:188، مقال السابق، ص 1.

51- اليعلاوي، مرجع سابق، ص 144.

52- عبد الرحمان الكعاك، «محاضرات الخلدونية»، جريدة الزهرة، ع:8378، 6 محرم 1354ه/ 10-04-1935م، ص2.

[53]- I.S.H.M.N.T, A.Q.O. LA KHALDOUNIA, Op.cit. -B :616-Dos :332-F :129, 130,131 .

54- IBID, B :616, Dos:332,F :129,130,131 .

Charles Mast* المقيم العام في تونس مابين 1947/1943، شارك في حرب الشمال الإفريقية في الحرب العامية الثانية وأسر من طرف الألمان، بعد عين قائد المنطقة العسكرية رقم 19، وبعد قائد منطقة العاصمة لفرقة العاصمة بالجزائر. أما في تونس فتميزت فترته بشدة وطأته على الإدارة التونسية. نور الدين الدقي، مرجع سابق، ص 209.

55- I.S.H.M.N.T, A.Q.O.conférences données à la khaldounia, B :616-Dos :332-F :59.

56-IBID,B :616, Dos :332,F :131.

57- IBID, B :616, Dos :332,F :124.

[58]- M.R.E, Le General Mast, Résident Général De France à Tunis à son excellence Monsieur le Ministre Des Affaires Etrangères- Recensement, B:616, S:P, C:45,

59- اليعلاوي، مرجع سابق، ص 147.

* محمد بن الشيخ المتوفى عام 1910، من كبار العلماء، تولى مهمة الإفتاء ومشيخة الإسلام التونسية. أنظر :ك.ع.إ.إ، مرجع سابق، ص 44